



الأشقياء في الدنيا كثير، ولا أظنّ باستطاعة بائس مثلي أن يرفع شيئاً من بؤسهم وشقائهم، ولو أدى كلّ ممّا واجبه تجاههم لربما صار في ذلك لهم سلوى، وتخفيقاً من كلّ بلوى، إضافة إلى ما يجب عليهم أن يتحلّوا به من الاحتساب والصبر، فذلك أجره عند الله كبير وفضله عظيم.

هذه السطور، ليست تقريراً عن الثورة السورية المنصرة، ولا وصفاً دقيقاً لها، لذا لن تجد أرقاماً أو معلومات فيها عن تلك الثورة.

هذه السطور، هي مجرد تنفس بصوتٍ عالٍ، ووصف مشاهدات شاهدتها من نازحين سوريين، في العهد الذي تحرّر فيه الدول العربية من قيود الغلّ والاستبداد، فهاكم الوصف مصبوغاً بمعاناة ينوء بحملها الرجال الأشداء، فكيف بكلمات أصابت شيئاً من هذا العذاب المنسيّ!

إن كلّ هذا العناء يتمثّل في رجل غصب للتحقيق، ثم نُوم، وفاق وقد فُقدَ كلّيته ورمي على قارعة الطريق، وله ثلاث بنات، أكبرهنّ فاطمة في العقد الأوّل من حياتها، كان قد خرج لمظاهرة يطلب فيها الحرية والكرامة، يريد أن يعيش بإباء ليس أكثر، فكانت جائزته هذا التّنكيل والتّعذيب، ثم يتساءل: كيف يريدون أن نحبّ النّظام؟! فسألته: هل شاركت أنت حقاً بمسيرة من المسيرات، أم أبلغ عنك المغرضون بعية حطام من الدنيا، وهذا شأنهم؟

فقال - وقد ظنّني أحسابه - : كيف مابدك أشارك! يا آية - وهي بنته وتبّلّغ من العمر (٦) سنوات - شو كنتي تقولي بالمشاهرات، فقالت وهي قابضة كفّها وباسطة لذراعها وتحرّكها لأعلى وأسفل بجسم وبلغة الأطفال: يا بشار يا خثيث - الأصل خسيس - دم الشّهداء مش رخيث - الأصل رخيص -، ظفّ أغراضك حطّها بكّي - الأصل كيس -، فأعقب الأب يقول: إذا هي بتؤول هيكي كيف مابدك أشارك؟! قلتُ: لا يهزم قوم هكذا أبناؤهم..

أما نبيل فله ضرب آخر من وجوه الظلم والعدوان؛ فقد كان يملك كشكّاً للملابس هدموه افتياً، وكانت زوجته حاملاً في شهرها الأخير، فأصابها آلام الطلق، ولم يجد مستشفى آمنة يأوي إليها؛ لأن المستشفيات بإجماع النازحين الذين رأيتم قد تحولت لمقاصب! وصارت أدلة من أدوات النظام الباغي في القتل والتحقيق! على كل حال. ظلّ صاحبنا يبحث عن مكان آمن تتمّ فيه عملية الولادة بأمان، فما وجد غير بيت حديث البناء - عظم -، ونادي زوجة جاره لتساعده، فولدت الأم بتنا كالقمر، ولكنها ماتت بعد دقائق لضعف الرّعاية الطبيّة، فأبكي زوجته وحليلة جاره وذهب ليدفن البنت في المقبرة، حتى تمتّ عملية الدفن، فما أن انتهوا إلا وبدأ أزلام النّظام بنبش القبور بدعوى البحث عن أسلحة مدفعون! فأعاد دفن فلذة كبده، ورجع إلى امرأته وقد استأجر سيارة هربت به إلى خارج البلد، ومع كل ما حصل يقول لي: لو أملك حقّ البارود ما جيت لهون!

قلت: يكتب الله النصر لشعب يحمل كلّ هذه العزيمة والتضحية.

إنّ كلّ هذه الحكايا كالمكعب، في كلّ جهة له وجه، غير أنّ النّظام في كلّ جهة له وجه من أوجه البغي والتّدمير، ودونك ذلك التّاجر، الذي قد أنعم الله عليه، فصار داعماً للثّورة، منفّقاً مما آتاه الله يرجو رحمته، منفّقاً للثّورة ومعطياً لعائلته وإخوته، وبعد حين بُلغ عنه، وعن أخيه، فاشتغل بتحويل أمواله إلى أملاك وصكوك؛ لأنّ أموال أخيه قد حجزها البنك بأمر من الدولة عندما ذهب يطلب مبلغ (٣٠٠٠٠) ليرة، فأعطاه البنك (٣٠٠٠) ليرة، وقال له: "ما بتحاج أكثر من هيـك؟! تُمنع عنه أموالـه! إنّ كلّ الجهات التابعة للنّظام في الوقت الحالي في سوريا، قد انقلبـت جهـات ومؤسسات أمنـية، وصار يُـحـجـر على الجميع، ويرأـقـبـ الجميعـ، حتى إنـ أـهـلـ الشـهـادـ يـخـفـونـ أـخـبـارـ استـشـهـادـ أـبـنـائـهـمـ حتـى لاـ يـطـارـدـواـ، وـرـبـماـ يـدـاهـمـ المـنـزـلـ عـشـرـاتـ المـرـاتـ منـ أـجـلـ الـبـحـثـ عنـ شـابـ فـيـهـ أـوـ اـمـرـأـ قـدـ سـاـهـمـواـ فـيـ الثـورـةـ، وـطـلـبـ الـكـرـامـةـ حتـىـ بالـنـيـةـ.

على كلّ حال، استمرّ صاحبـناـ التـاجـرـ هـذـاـ فـيـ شـرـاءـ أـمـلـاـكـ بـأـمـوـالـهـ حتـىـ لاـ تـسـرـقـ بـعـدـ أـنـ سـرـقـ جـزـءـ مـنـهـ، وـابـتـاعـ سـيـارـتـهـ لـيـسـتـفـيدـ مـنـ ثـمـنـهاـ فـيـ الـهـرـوبـ، وـذـلـكـ بـعـدـ أـنـ أـعـقـلـ وـحـنـ بـإـبـرـةـ مـنـ طـبـيـبـ إـيـرـانـيـ، وـلـاـ يـعـلـمـ مـاـهـيـةـ هـذـهـ الـحـقـنـةـ حتـىـ الـآنـ! بـقـيـ أـنـ تـعـرـفـ أـخـيـ الـقـارـئـ، أـنـ هـذـاـ التـاجـرـ قـدـ قـتـلـ اـبـنـهـ أـمـامـهـ عـلـىـ عـتـبـةـ بـابـ الـمـنـزـلـ بـالـرـصـاصـ، وـحـيـنـمـاـ أـرـادـ أحـدـهـمـ مـسـاعـدـهـ نـالـهـ مـاـ نـالـ صـاحـبـهـ، وـالـآنـ يـقـطـنـ هـذـاـ التـاجـرـ فـيـ بـلـدـ آـخـرـ، بـعـدـ أـنـ هـرـبـ مـنـ بـلـدـهـ خـشـيـةـ حـكـومـتـهـ، وـأـصـبـحـ يـعـيـشـ عـلـىـ التـبـرـعـ! لـيـسـ لـنـاـ أـنـ نـفـلـ الـعـمـلـ الطـبـيـ الـخـيـرـيـ الدـاخـلـيـ، بـعـدـ أـنـ صـارـتـ الـمـسـتـشـفـيـاتـ مـصـدـرـ شـوـئـ وـقـتـلـ وـتـشـرـيـدـ، وـصـارـ كـلـ مـنـ يـحـلـ دـوـاءـ لـمـرـيـضـ يـعـقـلـ، وـيـحـقـقـ مـعـهـ، وـكـانـهـ يـحـلـ قـبـلـةـ، مـاـ أـدـىـ إـلـىـ التـحـفـظـ الشـدـيدـ عـلـىـ الـأـسـمـاءـ وـالـأـعـمـالـ، وـصـارـ كـلـ يـتـبـادـيـ بـلـقـبـهـ، وـسـبـحـانـ اللهـ، لـاـ يـزـيدـ هـذـاـ الـكـبـتـ الـثـورـةـ السـوـرـيـةـ إـلـاـ عـزـّـاـ وـامـتـدـاـ!ـ حتـىـ إـنـ الـمـطـلـوبـ السـوـرـيـ الـأـوـلــ وـهـوـ وـمـنـ مـعـهـ مـنـ أـشـعـلـوـاـ الـثـورـةـــ يـقـولـ بـعـدـ أـنـ أـوـصـلـ عـائـلـتـهـ لـبـرـ الـأـمـانـ هـارـبـاـ مـنـ بـلـدـهـ:ـ أـنـاـ مـكـانـيـ مـشـ هـونـ،ـ مـدـامـ أـوـلـادـيـ بـأـمـانـ رـاجـعـ!ـ قـلـتـ:ـ لـاـ يـصـمـدـ نـظـامـ مـتـكـبـرـ فـيـ وـجـهـ شـعـبـ مـخـلـصـ وـمـجـاهـدـ.

لـاـ أـعـتـقـدـ أـنـ النـظـامـ السـوـرـيـ المـجـرمـ يـحـتـاجـ لـمـثـلـ هـذـهـ السـطـورـ لـإـثـبـاتـ ظـلـمـهـ وـوـحـشـيـتـهـ،ـ وـأـنـ عـلـىـ الـمـرـاقـبـيـنـ أـنـ يـضـرـبـوـاـ بـيـدـ مـنـ حـدـيدـ بـدـلـاـ مـمـاـ هـمـ فـيـهـ،ـ وـلـكـنـنـيـ جـعـلـتـ هـذـهـ الـمـقـاـلـةـ بـمـثـابـةـ الـذـكـرـيـ وـالـبـيـانـ،ـ لـمـ رـأـيـتـ مـاـ يـشـيـبـ لـهـ رـأـسـ الـوـلـيدـ،ـ وـيـعـطـيـكـ دـلـالـةـ عـلـىـ أـنـ الـيـهـودـ خـيـرـ مـنـ نـظـامـ الـمـجـازـرـ وـالـتـعـذـيبـاتـ،ـ نـظـامـ كـسـرـ الرـقـابـ وـقـطـعـ الرـؤـوسـ.ـ النـظـامـ الـذـيـ أـجـمـعـ كـلـ مـنـ سـأـلـتـهـ عـنـ الـوـاقـعـ السـوـرـيـ عـلـىـ عـبـارـةـ:ـ بـأـوـلـكـ بـسـ هـلـيـ مـاـ بـتـصـدـيـ!ـ

الـإـنـسـانـيـةـ تـقـتـلـ أـلـفـ مـرـةـ فـيـ سـوـرـيـاـ،ـ وـالـثـورـةـ السـوـرـيـةـ الـمـنـصـورـةـ تـمـتـ بـحـجـمـ هـذـهـ الدـمـاءـ الـمـسـكـوـبـةـ،ـ وـالـدـوـلـ الـمـحـيـطـةـ تـسـتـقـبـلـ الـمـزـيدـ الـمـزـيدـ مـنـ النـازـحـيـنـ،ـ وـجـمـعـيـةـ الـكـتـابـ وـالـسـنـةـ وـكـيـلـةـ مـؤـسـسـةـ الشـيـخـ عـيـدـ الـقـطـرـيـةـ فـيـ الـأـرـدنـ تـقـدـمـ عـمـلـاـ جـبـارـاـ تـجـاهـ نـازـحـيـ الـأـرـدنـ،ـ وـلـاـ يـفـلـحـ بـشـارـ بـعـدـ كـلـ مـاـ فـعـلـ..ـ

المصدر: موقع الإسلام اليوم

المصادر: